الآداب للدراسات اللغوية والأدبية | مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
12 العدد الثاني عشر ديسمبر 2021

توظيف التركيب القرآني في البيان النبوي

دراسة بلاغية

د. محمد بن صالح بن سليمان العييدي*

Jh8939@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/03م	تاريخ القبول: 2021/10/26م

ملخص:

يسعى البحث إلى دراسة توظيف التركيب القرآنيّ ضمن ألفاظ الحديث الشريف وصياغاته، في مبحثين: الأول: ما اتفق فيه الحديث الشريف مع القرآن الكريم (موافقة الأصل)، والثاني: ما كان فيه اختلاف الحديث الشريف عن القرآن الكريم (مخالفة الأصل). وقد توصّل البحث إلى أنَّ الحديث الشريف يعمد إلى توظيف التركيب القرآني مع مراعاة الخطاب الشفوي المباشر الذي يتّجه إلى الصحابة لمطابقة أحوالهم وحاجاتهم، فقد ظهر الحرص على صياغة التركيب القرآني وفقًا لذلك، كما تبين أنَّ البيان النبوي لم يستخدم التركيب القرآنيّ لغرض التزيين والتحسين، وإنما جاء توظيف التركيب القرآني في الحديث الشريف لوظائف دلالية، أو شرعية يتطلّبها الكلام. كما جاء توظيف التركيب القرآني لوظيفة حجاجية أحيانًا، وذلك من أجل التأكيد على الموقف الرباني والقرآني من الأمر المطروح، وبيان أن القضية هي موقف ديني قد ورد الأمر به في القرآن أيضًا.

الكلمات المفتاحية: موافقة الأصل، مخالفة الأصل، توظيف الحجاج، توظيف التركيب القرآني.

* طالب دكتوراه في العلوم العربية - قسم الدراسات الفلسفية الأدبية – كلية العلوم العربية والاجتماعية – جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية.

DOI: 10.53286/2118-000-012-007

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
الآداب للدراسات اللغوية والأدبية

Employing the Quranic Structure in the Prophetic Statement

A Rhetorical Study

Dr. Mohammed Saleh Suliman Al-Oyidy*

Jh8939@gmail.com

Received on: 03/10/2021	Accepted on: 26/10/2021

Abstract:

The research seeks to study the employment of the Quranic structure within the words and formulations of the noble hadith. The research was divided into two sections, the first one is concerned with what the noble hadith agreed with the Holy Quran (consent with the original); and the second one deals with what was the difference in the noble hadith from the Holy Quran (contrary to the original). The research concluded that the hadith intends to employ the Quranic structure, taking into account the direct oral discourse that addresses the companions of the Prophet to match their conditions and needs. The keenness to formulate the Quranic structure appeared accordingly, as it turned out that the Prophet's statement did not use the Quranic structure for the purpose of embellishment and improvement. The use of the Quranic structure for an argumentative function sometimes came in order to confirm the divine and Quranic position on the issue at hand, and to indicate that the issue is a religious position that was also mentioned in the Quran.

Keywords: Consent with the original, Contrary to the original, Employment of argumentation, Employment of the Quranic structure.

*PhD Student in Arab Sciences, Department of Literary and Philosophical Studies, Faculty of Arab and Social Sciences, Qassim University, Saudi Arabia.

مقدمة:

يعمد البيان النبوي في بعض الأحيان إلى توظيف التركيب القرآني ضمن ألفاظ الحديث الشريف وصياغاته، ويمكن القول هنا إن الحديث الشريف يعدّ خطابًا حواريًا مباشرًا يعمد إلى تسييق النَّظم القرآني لفظًا ومعنى عبر إيراده في مواقف التفاعل الحواري المباشر، وسيختصّ التحليل في هذا البحث بدراسة توظيف الجملة القرآنية في الحديث الشريف، وتلمس مواضع البلاغة في هذا التوظيف، والنظر في وضع التركيب القرآني في البيان النبوي ليطابق به حال الخطاب الموجّه إلى الصحابة -رضوان الله عليهم-.

وسوف يكون النظر في تلك المواضع التي وظّف فيها الحديث الشريف النّظم القرآني، عبر مبحثين:

الأول ما اتفق فيه الحديث الشريف مع القرآن الكريم، أي إنه موافق للأصل: إما في التقديم والتأخير، أو الخبر والإنشاء، أو الفعلية والاسمية. أو ما شابه ذلك من أبواب علم المعاني الثمانية، مما يمكن رصده والنظم فيه.

وأما المبحث الثاني فسيكون فيما خالف الأصل، وما كان فيه اختلاف الحديث الشريف عن القرآن الكريم في مباحث علم المعاني.

المبحث الأول: موافقة التركيب القرآنيّ

إنَّ التركيب النبوي البليغ الذي جاء في الحديث الشريف، وما وهب الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ من الفصاحة والبيان العالي كان نتيجة لِما رضعه من أصول عربيةٍ بليغة، وما وُهبه ﷺ من "الدّقة المتناهية والانسجام والتوافق والتسلسل، فكلامه ﷺ بريء من التنافر والتناقض والاختلاف... فكل جزئية من المعنى متممة لما قبلها، ممهدة لما بعدها"[1]، وإن كان السرّ الذي بهر سامعيه هو ما تلقاه ﷺ من وحي منزل، فقد كان له أقوى الأثر، حيث وافق أسلوبُه القرآنَ الكريم وتأثر به، فصار كالمحاكاة لكلام الله، " وذلك أمر طبيعي جلي، فعلى قلبه المتصل بجلال الله تنزل القرآن ﴿ نَزَلَ بِهِ

﴿ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشعراء، 193، 194]، ومن لسانه تلقاه المسلمون ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٦٧﴾ [المائدة، 67] وبأمره سجله الصحابة وكتبوه"(2).

وقد ورد هذا في مواضع كثيرة من السنة النبويّة، إلا أنها وجّهت الخطاب إلى الصحابة بأسلوب الحوار والمشافهة المباشرَين، وفي هذا البحث سيكون الضوء مسلطًا على توظيف التراكيب القرآنية في الحديث الشريف، ودراسة دلالاتها، وتوجيه ذلك بلاغيًا، من خلال ما سيأتي بيانه وإيضاحه في هذا المبحث والذي يليه، بإذن الله.

ما يُلحظ أنَّ الحديث الشريف يوظّف الجملة الفعلية الواردة في التركيب القرآني ﴿يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ والتي وردتْ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَـٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤﴾ [القصص، 54]، وذلك في قوله -عليه الصَّلاة والسلام-: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، ..."، إذ يستخدم الحديث الشريف الجملة الفعلية ذاتها الواردة في القرآن (يؤتون أجرهم مرتين)، ولكنها تأتي على شكل خطاب موجّه من نبي الله الأعظم ﷺ إلى ملك الروم، وذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنه الذي ساق فيه خبر أبي سفيان رضي الله عنه -قبل أن يُسلم- مع هرقل عظيم الروم حيث سأله هرقلُ مجموعة من الأسئلة عن رسولنا الكريم ﷺ، والتي من شأنها البحث عن صدق نبوته عليه السلام، حيث دَعَا هرقل بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهُ:

"فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ،

فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، وَ:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ [آل عمران 64].

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الكِتَابِ، ارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ عِنْدَهُ وَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَأُمِرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ"(3).

إنه عليه الصلاة والسلام بهذا الخطاب يتألف قلب عظيم الروم؛ ليدخل في دين الله، وحينها يعرض عليه عرضًا مغريًا، وثوابًا جزيلًا إذا دخل في الإسلام، فالدعوة مبنية على الحكمة والموعظة الحسنة، (يؤتك الله أجرك مرتين)، ففي أسلوبه عليه السلام اختار الفعل الدال على السلامة التي ينشدها البشر من البشر، فحين يُسلِم، ستكون له السلامة الكاملة، ويُضاعف له الأجر والثواب، وبهذا يكون الخطاب مختلفًا عن خطاب القرآن الذي هو خبر لا محاورة فيه.

وفي هذا الحديث أسرار بلاغية منها: أنه "لم يصرِّح في الكتاب بدعائه إلى الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، لكنَّ ذلك منطوٍ في قوله: (والسلام على من اتبع الهدى)، وفي قوله: (أدعوك بدعاية الإسلام)، وفي قوله: (أَسلمْ)؛ فإن جميع ذلك يتضمن الإقرار بالشهادتين"(4).

وأما قوله: "ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه؛ ظاهره أنَّ هرقل هو الذي قرأ الكتاب، ويحتمل أن يكون الترجمان قرأه، ونسبت قراءته إلى هرقل مجازًا؛ لكونه الآمر به"(5)، وفي تخصيص الفلاحين (الأريسيين) دون غيرهم؛ "لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقيادًا"(6).

وقد أورد الطيبي فائدة بلاغية حين علّق على الحديث؛ فقال: "فإنَّ قوله ﷺ في غاية الإيجاز والبلاغة وجمع المعاني، مع ما فيه من بديع التجنيس؛ فإنَّ (تسلمْ) شامل لسلامته من خزي الدنيا

بالحرب، والسبي، والقتل، وأخذ الديار والأموال، ومن عذاب الآخرة"[7]. وفي قوله ﷺ: "سلام على من اتبع الهدى" قمَّة في البيان، وروعة في النظم الذي يلائم المقام، يقول ابن الجوزي: "هذا شيء لا يغضب منه أحد؛ لأنَّ قيصر يظن أنه ممن اتبع الهدى"[8].

وذكر ابن حجر أنَّ قوله: "أَسلمْ تسلمْ": فيه بشارة لمن دخل في الإسلام أنه يسلم من الآفات اعتبارًا بأن ذلك لا يختص بهرقل، كما أنه لا يختص بالحكم الآخر؛ وهو قوله: " أسلم يؤتك الله أجرك مرتين"؛ لأن ذلك عام في حق من كان مؤمنًا بنبيه، ثم آمن بمحمد ﷺ. وأعاد "أَسلمْ" تأكيدًا، ويحتمل أن يكون قوله: "أَسلمْ" أولًا، أي لا تعتقد في المسيح ما تعتقده النصارى، "وأَسلمْ" ثانيًا أي ادخل في دين الإسلام؛ فلذلك قال بعد ذلك: "يؤتك الله أجرك مرتين"[9].

أما الآية القرآنية ففيها بيانٌ لمضاعفة الأجر لشريحةٍ من الناس أُعتني بها؛ لما كان عندها من الصفات الحميدة، أو لمقامها الرفيع في الإسلام؛ ففي آية القصص تبيّن جمال النظم فيها؛ إذ استعمل أسلوب التعريف للحديث عن تلك الفئة وحكاية خبرها، وهو اسم الإشارة الوارد في أول الآية ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾، والذي دلَّ على تميز المشار إليه، وهم أولئك الوفد من نصارى الحبشة، أو بعض النصارى الذين بمكة آمنوا بالنبي ﷺ ودعوته، كورقة بن نوفل، وصهيب، وبعض اليهود بالمدينة؛ كعبدالله بن سلام- رضي الله عنهم أجمعين-[10]، فاسم الإشارة ميّزهم عن غيرهم بمضاعفة الأجر، فـ" التعبير عنهم باسم الإشارة هنا للتنبيه على أنهم حريّون بما سيُذكر بعد اسم الإشارة؛ من أجل الأوصاف التي ذكرت قبل اسم الإشارة،... حيث عدَّ الله لهم سبع خصال من خصال أهل الكمال:

وهي: ﴿ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي إنهم يؤتون أجرين على إيمانهم، أي يضاعف لهم الثواب؛ لأجل أنّهم آمنوا بكتابهم من قبل، ثم آمنوا بالقرآن؛ فعبّر عن مضاعفة الأجر ضعفين بالمرتين؛ تشبيهًا للمضاعفة بتكرير الإيتاء، وإنما هو إيتاء واحد. وفائدة هذا المجاز إظهار العناية حتى كأن المثيب يعطي، ثم يكرر عطاءه، ففي يؤتون أجرهم مرتين تمثيلة"[11]. والملحوظ أن جميع هذه الصفات قد أوردها النظم القرآني بطريق الإخبار والحديث عنهم.

ويمكن النظر بعد سياق الحديث إلى طرائق توظيف التركيب القرآني فيه، وذلك بالنظر إلى تحويل الخبر الذي ورد في القرآن الكريم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾، ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ إلى الخطاب المباشر الوارد في الحديث "أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ"، فقد جاءت الجملة الفعلية في الحديث بأسلوب إنشائي يحمل الإرشاد والتوجيه، فقد قال النبي ﷺ لهرقل: "أسلمْ"؛ وهو أمر إرشادي ونصيحة لعظيم الروم، ودعوة إلى الإسلام الذي سيكون سببًا في أن يُعطى أجره مرتين! وبهذا يكون الحديث نصًا حواريًا مباشرًا، خاطب فيه الرسول ﷺ عظيم الروم، فهو خطاب من ملك المسلمين إلى ملك الروم، يتألف فيه قلبه؛ ليدخل في دين الله، حيث يعرض فيه عرضًا مغريًا، وثوابًا جزيلًا إذا استجاب لهذه الدعوة ودخل في الإسلام.

وبهذا الخطاب الحواري المباشر الوارد في الحديث الشريف؛ يكون قد اختلف عن خطاب القرآن الكريم الذي هو كلام الله الذي يتناسب مع جلال الله وعظمته، والذي يُعدّ خبرًا قد جاء للحث والحض على فعل مَنْ أشاد بهم القرآن الكريم، أما لفظ رسول الله ﷺ فهو خطاب مباشر موجّه إلى هرقل الروم، فيقول له: (أسلم تسلم يُؤتك الله أجرك مرتين)، وكأنَّ رسول الله ﷺ يقول: ما أنا إلا مبلِّغ عن الله، وهو الذي يجزي ويُحاسب سبحانه وتعالى.

ومما وظّفه الحديث الشريف دون تغيير هو **الجملة الخبرية** في التركيب القرآني ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾، وهي جزءٌ من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الكهف 54]، جاء ذلك في حواره ﷺ مع صهره عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك بعد أن طرقَ النبي ﷺ عليه وعلى فاطمة -رضي الله عنهما- ليلةً، مستفهمًا متعجبًا (ألا تصليان؟)؛ فكانت النتيجة أن خرج رسول الله ﷺ غاضبًا يقول:

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف، 54]، وهذا الخبر جاء في حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ حيث أَخْبَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَقَالَ: «أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف، 54].

إذ يتبين من الآية أنها تدل على أن ذم الجدال يشمل كل جدل وخصام، إلا أنَّ هناك جدالًا "محمودًا مأمورًا به لإظهار الحق، كقوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل، 125]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت، 46]"(12). وقد جاءت الآية لتؤكد "أن الكفار أكثروا الجدل، والخصومة، والمراء؛ لإدحاض الحق الذي أوضحه الله بما ضربه في هذا القرآن من كل مَثَل"(13). ومن خلال هذا نلحظ أن سياق الآية جاء جملة خبرية تقرر أنَّ الله صرّف في هذا القرآن الآيات والعبر للناس ليذكروا؛ فقابلوا ذلك بالجدل والخصام.

ويستخدم الحديث الشريف **الجملة الخبرية** كما استخدمها القرآن الكريم، ففي هذا الخبر يحاور الرسول ﷺ زوج ابنته عليًا، وهو مشفقٌ عليه وعلى ابنته في وقتٍ تنزل فيه الرحمات، وينزل فيه ربُّنا -عزّ وجلّ- حيث يحسن بالمسلم أن يصلي في هذه الساعة؛ بحثًا عن سكينة، أو مغفرة، أو رحمة، أو نحوها مما يحصل من الخيرات في مثل هذه الساعة الجليلة، ولكنَّ عليًا ﷺ خاطب رسول الله ﷺ مخاطبة من أتى بالحقيقة(14)، لا حوار المناكف الممانع لكلام رسول الله ﷺ: (أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا)، وبعد ذلك يخرج رسول الله ﷺ غاضبًا لهذا الجدل الذي ليس وراءه طائل(15)، مرددًا الجملة الخبرية التي وردت في القرآن الكريم ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف، 54].

فالرسول ﷺ بهذا الحوار يبيّن خطورة الجدل بالباطل، وأن عاقبته وخيمة، وهو بهذا يربي ابنته وزوجها على قبول الحق، ولو لم يوافق النفس، فالحق أحق أن يُتّبع.

"وفيه: جواز الانتزاع من القرآن"(16)، وأن الحديث استخدم **الجملة الخبرية** كما جاءت في القرآن الكريم.

وبهذا يمكننا أن ننظر بعد سياق الحديث الشريف إلى توظيف التركيب القرآني فيه، وذلك بالنظر إلى استخدام **الجملة الخبرية** الواردة في القرآن الكريم ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف، 54]، حيث استخدمها الحديث الشريف استخدامًا مباشرًا، حاور الرسول ﷺ صهره عليًا حوارًا يحمل في طياته الحرص والشفقة عليه وعلى زوجته فاطمة -رضي الله عنهما- وفي هذا "الحث على صلاة الليل، وأَمْرِ الإنسان صاحبَه بها، وتعهد الإمام والكبير رعيتَه بالنظر في مصالح دينهم ودنياهم، وأنه ينبغي للناصح إذا لم يقبل نصيحته، أو اعتذر إليه بما لا يرتضيه؛ أن ينكفّ ولا يُعنف إلا لمصلحة"(17).

ومن هذا نعرف أنَّ الخطاب في الحديث الشريف جاء خطابًا حواريًا موجَّها إلى عليّ وزوجته وأنَّ عليهما أنْ يحذرا من الجدال الذي قد يؤثر على شأنهما، وفي هذا توظيف للآية توظيفًا حجاجيًا جاء في سياق حواره؛ حيث يذم ﷺ بها الجدل الذي ساءه عليه السلام.

إنَّ توظيف الحديث للآية يأتي لوظيفة توجيهية حجاجية، إذ المفهوم من إيرادها توجيه علي رضي الله عنه والأمة من بعده بعدم الجدال، واستخدام النبي ﷺ للتركيب القرآني يأتي لتكون ألفاظ الآية بمثابة الدليل، أو الحجة الشرعية التي تؤكد ذمّ الجدل الذي لا طائل من ورائه، وهذا يعني أن الحديث الشريف استفاد من معنى الذمّ الذي ظهر في الآية في ذمّ فعل المشركين؛ ليستخدمه البيان النبوي في ذم الجدل الذي ظهر من علي رضي الله عنه.

ومما يدخل في توظيف التركيب توظيف الحديث الشريف **للجملة الإنشائية** التي وردت في التركيب القرآني: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وهي جزء من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء، 79]، فقد جاء في الحديث الشريف الذي رواه جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّداءَ :اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ القائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفاعَتي يَومَ القِيامَةِ"**[18] فرسولنا الكريم ﷺ يُرغّب أمّته في أمرٍ لو امتثله المسلم؛ لكان له فلاحًا ونجاةً يوم القيامة، وصار مع أولئك الزمرة الذي سيدخلون تحت لوائه ﷺ وشفاعته، وبهذا الخطاب النبوي يحضُّ أمته ألا يغفلوا عن هذه الدعوة التي يقولها المسلم بعد أن يسمع المؤذن رافعًا راية التوحيد.

وأما السياق القرآنيّ فهو يدعو إلى القيام بالنوافل ليلًا بعد القيام بالفرائض الواردة في الآية التي سبقتها ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ ﴾ [الإسراء، 78]، والتي فيها إشارة إلى الصَّلوات المفروضة.

وقد أمر الله نبيَّه ﷺ أن يقوم من الليل ويتهجدّ فيه؛ بحثًا عن رحمات الله النازلة في الثلث الأخير من الليل، وهذا الأمر واجب في حق رسول الله ﷺ، وإن كان هناك من يرى أن الحكم نُسخ في حقه ﷺ، كما نُسخ في حق الأمة؛ فصارت نافلةً له، وهو قول مجاهد وقتادة؛ لأن الله تعالى قال:﴿ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾، ولم يقل: (عليك)[19].

وبعد هذا الأمر الرباني للرسول ﷺ وقيامه بهذا الأمر العظيم؛ تأتي النتيجة المرجوّة في **الجملة الإنشائية** ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ قال ابن جرير: " قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس؛ ليريحهم ربُّهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم"[20].

وعلى هذا نلمسُ أنَّ المقام المحمود الوارد في الجملة الإنشائية؛ كان نتيجةً سببها القيام بالفرائض خير قيام، وإتباع ذلك بصلاة الليل التي هي نور في الوجه، وسعادة في القلب؛ والتي تُحقق المنازل العالية، أعظمها ذلك المقام المحمود لرسولنا ﷺ، ألا وهو: مقام الشفاعة يوم القيامة[21].

وهذه **الجملة الإنشائية** الواردة في القرآن الكريم استخدمها الحديث الشريف؛ حيث جاءت في مقامٍ يحث فيه الشرع على رفع كلمة التوحيد، والدعاء للنبي ﷺ بأن يبلغه هذه المنزلة الرفيعة، ويُؤتيه المقام المحمود، وهو دعاء كلِّ مسلم بعد أن يسمع الأذان؛ طالبًا شفاعة رسول الله ﷺ في ذلك المقام العظيم.

وحين نتأمل في ألفاظ الحديث نجد أنَّ **الجملة الإنشائية** الواردة في القرآن ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، استخدمها رسول الله ﷺ: "وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ"، فالمسلم يدعو ربَّه أن يبلغ نبيّنا محمدًا ﷺ هذه المرتبة السامية، والمكانة الرفيعة؛ بسبب ما قام به من الدعوة إلى التوحيد، وهي الدعوة التَّامة التي وردت في أول الحديث؛ ولأنه صاحب الفضيلة ﷺ، يقول ابن رجب: " أما (الفضيلة)، فالمراد - والله أعلم -: إظهار فضيلته على الخلق أجمعين يوم القيامة وبعده، وإشهاد تفضيله عليهم في ذلك الموقف، كما قال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة"(22).

وبهذا العرض نلحظ أنَّ الحديث الشريف استخدم التركيب القرآنيّ استخدامًا مباشرًا، استعمل فيه الجملة الإنشائية ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، حيث بيَّن الرسول ﷺ بخطابه المباشر للصحابة -رضي الله عنهم- وللأمّة بعدهم؛ أنَّ من يدعو بدعاء مخصوص، بعد أن يسمع المؤذن الذي ينادي إلى الصَّلاة، ويُعْلِم الناس بدخول وقتها، ثم يقول بعد ذلك: "اللَّهُمَّ رَبَّ هذِه الدَّعْوَةِ التّامَّةِ، والصَّلاةِ القائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ"؛ فإنَّ الجزاء المترتب على هذا الفعل - الذي يحث فيه النبي ﷺ كلَّ من يسمع النداء – أن تحلَّ له شفاعته ﷺ يوم القيامة، والتي هي مبتغى ومأمول كل إنسان في تلك العرصات. وهو عمل ميسور، نلحظ فيه الاقتضاب الذي ليس فيه مشقة؛ لما كان عليه ﷺ من الشفقة والرحمة بأمّته، فهو يحثهم على العمل القليل، ويعدهم بالجزاء العظيم.

ونلحظ أنَّ توظيف النبي ﷺ للآية؛ جاء لوظيفةٍ فيها حث وإقناع لأمّته، فعليهم أن يسعوا جاهدين إلى أن يرددوا هذه الدعوات بعد كل أذان؛ لأنَّ مَن قال هذا الدعاء؛ فإنَّ جائزته عظيمة، وهي أن تحلَّ له الشفاعة من النبي ﷺ يوم القيامة.

وبهذا فإن استخدام الحديث الشريف للجملة الإنشائية جاء ليؤكّد بشرية الخطاب، كما يؤكّد الدعاء بأن يبعث الله نبيّه ذلك المقام المحمود الرفيع؛ ومن ثم يمكن القول: إنَّ هذا التوظيف في الحديث الشريف يأتي ليكون استكمالًا للدعاء الرباني الوارد في الآية، بهذا الدعاء الإنساني الذي يوجّه به النبي ﷺ أمته في الحديث الشريف.

وكذلك وظّف الحديث الشريف أسلوب الاستفهام الوارد في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾، وهو استفهام موجّه من أصحاب الجنة إلى أصحاب النَّار: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأعراف [44]، وقد جاء ذلك في الحديث الشريف من حديث أبي طلحة رضي الله عنه:

أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاَثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»(23).

فالنبيّ ﷺ يحكي خبرًا عجيبًا، وحدثًا أثار مشاعر الصحابة وهم يسمعون قوله عليه السلام؛ لأنَّه يخاطب أناسًا لا حراكَ بهم، ويناديهم كأنما هم أحياء، فهم قد ماتوا، وباتوا أجسادًا بلا أرواح، وكأنَّ هذا أثار فضول الصحابة فقالوا: مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لاَ أَرْوَاحَ لَهَا؟ فجاء الردُّ الحاسم من الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحيٌ يُوحى، ومؤكّدًا بالقسم: "«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»!

وأما نداء القرآن فقد جاء على سبيل الاغتباط بالحالة التي ينعم بها أهلُ الجنّة، وربما كان شماتةً بأصحاب النار، وبيانًا لتحقق الموعود الإلهي الذي وعده الله كلا الفريقين، وعبَّر "بالنداء كنايةً عن بلوغه إلى أسماع أصحاب النار من مسافة سحيقة البعد، فإن سعة الجنة وسعة النار تقتضيان ذلك، لا سيما قوله: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ الأعراف [46]"[24].

وقد حصل هذا النداء بعد ما ذَكرَ الله "استقرارَ كلٍّ من الفريقين في الدارين، ووجدوا ما أَخبرت به الرّسل، ونطقت به الكتب من الثواب والعقاب: أنّ أهل الجنة نادوا أصحاب النار بأن قالوا:﴿ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾ حين وعدنا على الإيمان والعمل الصالح الجنة؛ فأدخلناها، وأرانا ما وصفه لنا ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ على الكفر والمعاصي ﴿ حَقًّا ؟ قَالُواْ نَعَمْ ﴾ قد وجدناه حقًّا"[25].

وفي حذف الكاف في قوله تعالى: ﴿ مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾، حيث لم يقل: "وعدكم" كما قال في حق أصحاب الجنة ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ "تخفيف لدلالة وعدنا عليه. ولقائلٍ أن يقول: أُطلق: ليتناول كلَّ ما وعد الله من البعث، والحساب، والثواب، والعقاب، وسائر أحوال القيامة؛ لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع، ولأن الموعود كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم؛ فأُطلق لذلك"[26].

وذكر البقاعي ملمحًا لطيفًا يتعلق بالمفعول المذكور لأهل الجنة، والمحذوف عن أهل النار، حيث يقول: "وأثبت المفعول الأول تلذيذًا، وحذفه هنا احتقارًا للمخاطبين، وليشمل ما للفريقين؛

فيكون (وجد) بمعنى العلم، وبمعنى اللقى، وفي التعبير بالوعد دون الوعيد مع ذلك؛ تهكّم بهم"[27]. "والآية من الاحتباك[28]: أثبت المفعول الثاني أولًا دليلًا على حذف مثله ثانيًا، وحذَفه ثانيًا دليلًا على إثبات مثله أولًا - والله أعلم"[29].

وقد جاء استخدام **الجملة الاستفهامية** في الآية الكريمة التي يدور حولها الحديث؛ حيث جاء في موطنٍ هو أشبه بموطن الآية؛ فهو سياقٌ يحكي قصة أولئك النفرِ من صناديد كفار قريش، الذين لقوا حتفهم، بل قل: مصيرهم المشؤوم، وأنهم من أصحاب النار، كما وعدهم رسول الله ﷺ.

ونلحظ أنَّ النبي ﷺ يستعمل **الجملة الاستفهامية** كما جاءت في الكتاب العزيز، ويخاطب أناسًا أمواتًا، ويسألهم: " فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟"

فهو عليه السلام يتصرّف تصرفًا يلفت به نظر الصحابة، حيث يخاطب أولئك الموتى خطابًا لم يكن مألوفًا، فالميت حين يوضع في قبره، لا يمكن أن يسمع كلام مخاطِبه؛ لأنه بات مسلوب القدرة والإرادة والتصرّف، ولكنَّ النبي ﷺ يخاطب هؤلاء الصناديد من كفار قريش بأسمائهم، ويطرح عليهم سؤالًا يُراد منه التصغير والتحقير والتوبيخ لهؤلاء الذين وُضعوا في القليب.

وقد جاءت **الجملة الاستفهامية** الواردة في الحديث الشريف موافقة لما في القرآن الكريم من حيث الصياغة اللفظية، فالنبي ﷺ يوجّه الاستفهام إلى قومٍ نالوا عقابهم الذي كان يحذرهم منه قبل أن يلاقوا حتفهم، وقد صار الآن حقيقةً عندهم؛ بقوله: "فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟"، فجاء الاستفهامان متطابقين بين الآية والحديث؛ إلا أنه يُلحظ أن التوظيف النبوي قد نقل العبارة القرآنية من سياقها الوارد في خطاب أهل النار الذين يستطيعون الإجابة والرد، ليورده في سياق آخر، وهو سياق خطاب قتلى بدر الموتى الذي لا يستطيعون الرد، **فهذا التوظيف يتغيّر فيه السياق الذي يرد فيه التعبير القرآني**، هذا مع الاتفاق في الألفاظ بين التعبيرين القرآني والنبوي. ويمكن القول: إن القصد البلاغي من هذ التوظيف النبوي للاستفهام القرآني واستخدامه في سياق جديد

قد جاء ليؤكد به -عليه الصلاة والسلام- للصحابة -رضوان الله عليهم- أن من ماتوا على الكفر في القليب سوف يلاقون نفس المصير الذي يلاقيه أصحاب النار عاجلًا غير آجل، حيث كان المآل واحدًا لهؤلاء وهؤلاء، فصناديد كفار قريش خالفوا أمر رسول الله ﷺ، كما خالف أصحاب النار أمر الله في الدنيا، فكان الاستفهام مؤيدًا وموافقًا لما في القرآن الكريم ليبث الموعظة المباشرة للصحابة وكل من يبلغه هذا الحديث الشريف.

ويتضح من هذا المعنى أن الغرض من الاستفهام التوبيخ والتبكيت والتقريع "على ما كان منهم من الكفر والعناد والصدِّ عن دين الله ومحاربة أوليائه، وقطعًا أن الحال لا يسرهم ولا يسعدهم، وأنى لهم أن يُسروا ويسعدوا وقد كفروا بربهم؟ وصدوا عن دينه، وحاربوا رسوله؟"[30].

ومما وظّفه الحديث الشريف **الجملة الاسمية** في التركيب القرآني ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ التي في سورة الحجرات، وهي ختام الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ الحجرات [13]، وقد جاء في الحديث الشريف عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَخِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا»[31].

وهذه الجملة الاسمية " أكرمهم أتقاهم"، وردت تؤكد أمرًا بالغ الأهمية في حياة الناس، وهو أمر له علاقة بترابط الناس بعضهم ببعض، فإذا اختلفوا في شخص، أو قبيلة؛ فإن الحكم هو شعار الإسلام (التقوى)؛ لذا كان الجواب المباشر من النبي ﷺ حيث سئل عن أكرم الناس؟ فقال: أتقاهم!

فالرسول ﷺ "لما سُئل عن أكرم الناس أخبر بالجملة الاسمية فقال: " قال العلماء: لما سألوا عن أكرم الناس أخبر بأكرم الكرام، فقال: أتقاهم؛ لأن المتقي كبير في الآخرة"[32]. قال القرطبي في

المُفهم: "وقول السائل: من أكرم الناس؟ معناه: من أولى بهذا الاسم، ولذلك أجابه النبي ﷺ بجواب كُلِّي، فقال: أتقاهم، وهذا منتزع من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ فلما قالوا: ليس عن هذا نسألك، نزل عن ذلك إلى ما يقابله، وهو الخصوص بشخص معين، فقال: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؛ لأنَّه نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، فإنَّ هذا لم يجتمع لغيره من ولد آدم، فهو أحق الناس المعنيين بهذا الاسم. فلما قالوا: ليس عن هذا نسألك تبين له: أنهم سألوه عمن هو أحق بهذا الاسم من العرب، فأجابهم بقوله: فعن معادن العرب تسألوني؟ أي: عن أكرم أصولها، وقبائلها،...، ولما كانت أصول قبائل العرب ثابتة سميت معادن. ثم قال: "خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"[(33)].

أما الآية الكريمة ففيها نداء إلى البشرية جمعاء مؤمنهم وكافرهم، وهو بيان للأصل الذي نبت منه الإنسان في هذه الحياة، وأن كل بني الإنسان يرجع إلى آدم وحواء-عليهما السلام- وأنهم قبائل صغارًا وكبارًا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، ومع كل هذه الأعراق والصلات فإنَّ الفيصل عند الله هو التقوى ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾، "فأكرمُهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافًا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقومًا، ولا أشرفهم نسبًا"[(34)].

وهذا النِّداء سبقه نداءان[(35)]، "وأعيد النداء للاهتمام بهذا الغرض، إذ كان إعجاب كل قبيلة بفضائلها وتفضيل قومها على غيرهم فاشيًا في الجاهلية"[(36)].

وقد بيَّن ابن عاشور الكناية المتعلقة في **الجملة الاسمية** ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾؛ فقال: "والخبر في قوله: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾ مستعمل كناية عن المساواة في أصل النوع الإنساني؛ ليتوصل من ذلك إلى إرادة اكتساب الفضائل والمزايا التي ترفع بعض الناس على بعض كناية بمرتبتين. والمعنى المقصود من ذلك هو مضمون جملة ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾، فتلك الجملة تتنزل من جملة ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾ منزلة المقصد من المقدمة،

والنتيجة من القياس، ولذلك فصلت؛ لأنها بمنزلة البيان"[37]. كما ذكر أيضًا أنَّ "جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ تذييل، وهو كناية عن الأمر بتزكية نواياهم في معاملاتهم وما يريدون من التقوى بأنّ الله يعلم ما في نفوسهم ويحاسبهم عليه"[38].

وفي الجملة الاسمية الواردة في الحديث: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي»؟ استفهام محذوف الأداة فقد جاء خاليًا من أداة الاستفهام، إلا "أنَّ للنبر الذي يصاحب تلفظ المستفهم بجملة الاستفهام أثرًا كبيرًا في الدلالة على الاستفهام، وثمة دلالة أخرى وهي أن الغالب في هذه الأحاديث، أو كلها أنها حوار بين السائل والمجيب، فهو يسأل وينتظر الإجابة، أو هو مستفهم عن شيء يريد معرفة جوابه، وحقيقة أمره، وفي هذه الأمور كلها غنية عن أداة الاستفهام وتقديرها، والأَولى في مثل هذه الاستفهامات أن تُورد هكذا كما قيلت، دون تقدير أداة لها، فسياقاتها ونغمتها الصوتية فيهما الدلالة كل الدلالة على الاستفهام"[39].

وفي التقديم والتأخير المتعلق بهذه الجملة الاستفهامية من رسول الله ﷺ: ندرك أن قوله: "فعن معادن العرب" متعلق بالفعل "تسألون"؛ إذن فقد تقدّم الجار والمجرور على الفعل والفاعل؛ لإرادة معنى القصر وتحقيقه، وقد اقتضى سياق الحديث كله هذا التقديم في الجملة الاستفهامية، وحتم وقوع الجار والمجرور بعد أداة الاستفهام؛ ذلك أنَّ مدار الأمر والشيء الذي يسألون عنه يكون تاليًا لأداة الاستفهام، فهو مناط السؤال، وهذا ما حدا برسول الله ﷺ أن يقدم الجار والمجرور في سؤاله؛ حتى يحدد مناط سؤال الصحابة ﷺ ويتبيّن المراد منه، ومن ثمّ يجيبهم عن سؤالهم، مبينًا لهم من أكرم الناس،..."[40].

وقد ذكر الطيبي أن رسول الله ﷺ استعمل في جوابه أسلوبَ الحكيم، حيث يقول: "يحتمل أن يراد به أكرم عند الله تعالى مطلقًا من غير نظر إلى النسب، ولو كان عبدًا حبشيًا، وأن يراد الحسب مع النسب، وأن يراد به الحسب فحسب، وكان سؤالهم عن هذا لقوله ﷺ: "فعن معادن العرب"، أي

عن أصولهم التي ينسبون إليها، وكان جوابهم نعم؛ فسلك ﷺ الأسلوب الحكيم على ألطف وجه حيث جمع بين الحسب والنسب"(41).

وعلى هذا تبين لنا أنَّ الجملة الاسمية الواردة في الحديث الشريف جاءت موافقة للقرآن الكريم، فالصحابة سألوا النبي ﷺ عن أكرم الناس؟ وكان سؤالهم سؤال حرص عمَّا يرقيهم ويرفعهم عند الله، وإن كانوا أرادوا بسؤالهم أمرًا لم يُجب عنه النبي ﷺ مباشرة، فقد أخبروه بأنهم لا يسألون عن ذلك، وإنما كان مرادهم السؤال عن معادن الناس، فجاءهم الجواب شافيًا، "خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"، ولكنَّ اللافت للنظر هو الجواب المتصدر من النبي ﷺ حين سأله الصحابة: «أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ»، وهو بهذا الجواب يؤسس قاعدة شرعية تَصلح لكل الناس، وتُناسب كل زمان ومكان، وترسم مقياسًا ربانيًا لا يُنظر فيه إلى الحسب أو النسب، وهذا ما أسسته الآية في سورة الحجرات حين بيّنت أصل الناس وأنهم جُعلوا شعوبًا وقبائل ليتعارفوا فيما بينهم، فليس الحسب والنسب، وإنما هو التقوى!

ويلحظ أن التوظيف النبوي جاء بعد حوارات واستفهامات موجّهة من الصحابة إلى الرسول ﷺ؛ ولذا كان جوابه مكونًا من مبتدأ وخبر «أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ» دون توكيد؛ وذلك لأنَّ الصحابة -رضوان الله عليهم- مؤمنون ويعرفون منزلة التقوى وأهميتها. وهذا يختلف عن سياق القرآن الكريم الذي أكّد هذا المعنى بأداة التوكيد ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ ﴾؛ وذلك لأنّه بدأ الخطاب في الآية بقوله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، فهو عام للناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم، ولهذا احتاج إلى التوكيد لإقناع غير المؤمنين من الناس. يضاف إلى ذلك أن التوكيد جاء ليتلاءم مع حال العرب عند نزول القرآن؛ حيث كان التعصب الجاهلي منتشرًا بينهم، فهم يقيسون الناس بالحسب والنسب، فجاء القرآن الكريم ليبيِّن أنَّ هناك مقياسًا جديدًا في الإسلام، يؤيده الحديث الشريف، قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"(42)، حيث إن التقوى هي أساس تفاضل الناس بعضهم على بعض.

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

المبحث الثاني: مخالفة التركيب القرآنيّ

بعد الحديث في المبحث الأول عن التركيب القرآني وتوظيفه في الحديث النبوي الشريف، كونه مواكبًا وموافقًا للأصل، في مواضع مرَّت؛ بيّنا فيها ذلك التوظيف، وذلك بالوقوف على بعض الأمثلة الواردة في السّنة النبوية، وبيان كيف تم توظيفها، وتبين أنَّ الكتاب والسنة مليئان بالشواهد الكثيرة لمن أراد أن يتأمل ذلك، ويُمعن النظر فيه، فإننا في هذا المبحث نُبيّن بعض الشواهد التي خالفت الأصل في تركيبها، حيث يعمد البيان النبوي إلى مخالفة أصل التركيب القرآني إما بتقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقص، أو إيجاز أو إطناب، أو تحويل من مضارع إلى ماضٍ، أو ما شابه ذلك، وسننظر كيف تم توظيف النظم القرآنيّ فيها.

فمثلًا مما نلحظه تحويل الجملة الفعلية في قول الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الحجر [87]، إلى جملة اسمية، فقد جاء تركيب شبيه له في قول رسول الله ﷺ في حديث **أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: " أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:** ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال [24]، ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»، قَالَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ **«هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»**(43).

وسورة الفاتحة "أعظم سورة في القرآن، أي أعظم نفعًا للمتعبدين؛ لأن أم القرآن لا تُجزئ الصَّلاة إلا بها، وليس ذلك لغيرها من السور"(44)، وقد ذكر ابن حجر تعليلًا لختم الآية بوصف (العظيم)، بينما ختم الحديث الشريف عن أبي سعيد بالفعل المضارع: (والقرآن العظيم الذي

أوتيته)؛ حيث يقول: "﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ محذوف الخبر والتقدير ما بعد الفاتحة مثلًا فيكونُ وصفُ الفاتحةِ انتهى بقوله: "هي السبع المثاني"، ثم عطف قوله: "والقرآن العظيم" أي ما زاد على الفاتحة، وذكر ذلك رعاية لنظم الآية؛ ويكون التقدير والقرآن العظيم هو الذي أوتيته زيادة على الفاتحة"[(45)].

وأما الآية فالله تبارك وتعالى يُبيّن فيها مِنّته على رسوله ﷺ بهذا القرآن العظيم، وبالأخص سورة الفاتحة؛ لأنَّها سبع آيات[(46)]، ولأنَّ المقام مقام امتنان وتطمين له ﷺ من تكذيب المشركين له، حيث جاء بمؤكدين (اللام، قد)، قدَّم الفعل الماضي ﴿ءَاتَيْنَٰكَ﴾، وفي تقديمه ما يوحي بالاهتمام بهذه النّعمة التي وهبَها الله نبيَّه محمدًا ﷺ. فهو سبحانه "أتبع التسلية والوعد بالمنة ليذكّر الله نبيه ﷺ بالنعمة العظيمة فيطمئن بأنه كما أحسن إليه بالنعم الحاصلة فهو منجزه الوعود الصادقة. وفي هذا الامتنان تعريض بالرد على المكذبين...، وأوثر فعل آتيناك دون (أوحينا)، أو (أنزلنا)؛ لأن الإعطاء أظهر في الإكرام والمنة"[(47)].

والمثاني "مشتقة من التثنية، وهو التكرير؛ لأنَّ الفاتحة تُكرر قراءتها في الصَّلاة، ولأنَّ غيرها من السور يكرر فيها القصص وغيرها... ولذلك عطف القرآن على السبع المثاني؛ لأنّه يعني ما سواها من القرآن، فهو عموم بعد خصوص"[(48)]. و" ليُعلم أنَّ إيتاء القرآن كله نعمة عظيمة"[(49)]. والزمخشري يسأل ويقول: "فإن قلت: كيف صحّ عطف القرآن العظيم على السبع، وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه؟ قلتُ: إذا عنى بالسبع للفاتحة أو الطوال، فما وراءهنّ ينطبق عليه اسم القرآن؛ لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل. ألا ترى إلى قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ۝٣﴾ [يوسف، 3]، يعنى سورة يوسف؟"[(50)]. وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ إضمار كما يقول القرطبي تقديره: "وهو أنَّ الفاتحةَ القرآنُ العظيمُ؛ لاشتمالها على ما يتعلق بأصول الإسلام"[(51)].

وبهذا نخلص إلى أنَّ هذه الآية قد جاءت ابتداءً لبيان عظمة النعمة التي أعطاها الله نبيّه محمدًا ﷺ، التي لا تُعطى لأي أحد، فهو قد خُصَّ بها دون غيره ﷺ، ولهذا أظهر الله هذه النعمة عليه. ويؤكد القرآن تكريم النبي ﷺ بهذا العطاء، وذلك عبر اتصال الفعل (آتينا) بضميره ﷺ، ويؤكّد هذا التكريم أيضًا كون الفعل ينصّ عبر الضمير (نا) على المعطي العظيم، وهو الله -جلّ جلاله-.

وقد جاء في الحديث الشريف توظيف هذا التركيب القرآني الذي يكشف عن إعطاء النبي -عليه الصلاة والسلام- السبع المثاني والقرآن العظيم، إلا أنه يلحظ مخالفة التركيب في الحديث الشريف أصل التركيب القرآني، عبر أسلوب التقديم والتأخير، وذلك بتأخير فعل (الإيتاء) في الحديث، وتقديم (السبع المثاني والقرآن العظيم).

لقد تحدّث البلاغيون عن التقديم والتأخير للعناية والاهتمام، حيث يذكره عبد القاهر الجرجاني من خلال شرح الفرق بين قول: "قتلَ المجرمَ زيدٌ" وقول: "قتلَ زَيدٌ المجرمَ". حيث يرى أن المثال الأول الذي تقدّم فيه المفعول ينصرف فيه الاهتمام إلى المقتول، وهو المجرم الذي قد يكون عاث في الأرض فسادًا، وكثر به الأذى، فيكون الحرص والاهتمام منصبًّا إلى قتله، بغض النظر عن اسم القاتل، فلذلك يتقدّم المفعول به؛ لأنه مدار العناية والاهتمام.

أما المثال الثاني الذي يتقدم فيه الفاعل فإن الاهتمام متّجه إلى الفاعل، وهو القاتل الذي قد يكون رجلًا جبانًا ضعيفًا لا يقدِر على القتل عادة، فلذلك يقدّم المتكلم الفاعل (زيدًا)؛ لأن الذي يعنيه ويعني الناس من شأن هذا القتل ندرته وبعد احتمال وقوعه، فلذلك تقدم الفاعل؛ لأن الاهتمام والعناية موجهان نحوه[52]. وقد أشار سيبويه في كتابه، إلى أن العرب "يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أعنى"[53].

وهذا الغرض البلاغي من التقديم والتأخير هو -والله تعالى أعلم- سبب اختلاف الصياغة بين الآية والحديث، حيث إن الأهمية في الحديث منصبّة على معرفة اسم هذه السورة العظيمة، وأما

كون النبي قد أوتيها من الله -جل جلاله- فهو أمر معروف ومفهوم من السياق قبل ذكر اسمها. حيث يُلحظ في صياغات الحديث أنه -عليه الصلاة والسلام- يخبر أبا سعيد خبرًا مهمًا في قوله: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**»، حيث استخدم صيغة التفضيل التي تدل على الأفضلية المطلقة (أعظم السور)، واستخدم أسلوب التوكيد عبر اللام الموطئة للقسم، ونون التوكيد الثقيلة في جملة: (لأعلمنّك)، وهو ما يشير إلى أن ثمة سورة مهمة يحاول النبي ﷺ تأكيد معرفتها للصحابي الجليل.

هذا الأسلوب التشويقي التأكيدي على أهمية السورة جعل الصحابي الجليل أبا سعيد متشوّقًا معرفة ما أبلغه به النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو ما يظهر عبر الاستفهام الصادر من أبي سعيد رضي الله عنه للنبي ﷺ في قوله: «**أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً**..؟" وهو استفهام مجازي يهدف إلى تذكير النبي بما وعده به؛ لأنَّ أبا سعيد يخشى أن تفوت عليه هذه الفرصة العظيمة التي وعده بها رسول الله ﷺ؛ فأراد أن يقرره بوعده؛ حتى يغنم بهذا الموعود، وقد فعل ﷺ.

ولأن الاهتمام كان منصبًا على معرفة السورة أجاب النبي ﷺ الصحابي مباشرةً بقوله: «**هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»، فقدم الأهم في نفس أبي سعيد وهو معرفة السورة، وأخّر الفعل؛ لأنه معروف عند الصحابي الجليل أبي سعيد، وبهذا يكون توظيف الحديث الشريف للتركيب القرآني بعد التقديم والتأخير، وذلك مراعاة للحال المختلفة التي يرد فيها هذا التركيب في كلامه -عليه الصلاة والسلام- حيث إن الحوار والخطاب المباشر الذي دار بين النبي -عليه الصلاة والسلام- وأبي سعيد؛ جعل الاهتمام متوجها إلى معرفة اسم السورة فتقدّمت في البيان النبوي، أما في الآية فقد كان الاهتمام متّجها إلى معرفة إكرام الله نبيّه بهذا العطاء العظيم؛ فقدّم الفعل الدال على ذلك.

وكذلك نلحظُ تحويل الحديث الشريف الجملة الفعلية في النظم القرآني إلى جملة اسمية، ويظهر هذا في مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾

الفرقان [72]، وقد جاء ذلك في حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ" فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ"(54). حيث يلحظ أن الجملة هنا جاءت خبرية، إذ إن قوله -عليه الصلاة والسلام-: "وشهادة الزور"، قد جاء معطوفًا على الخبر، وفيه تحويل للفعل (يشهدون) إلى الاسم (شهادة).

وقد أورد ابن الجوزي سؤالًا ذا بال، حيث قال: " فإن قيل: فكيف عظّم شهادة الزور بتفخيم أمرها وتكرار ذكرها والشرك أعظم؟ فالجواب: أنّ تعظيم أمر الشرك قد عُرف، فأراد تعظيم ما لا يعرف قدر وقعه؛ فكرر، كما أكثر ذكر عيب قوم لوط بالفاحشة، وقوم شعيب بالتطفيف، وإن كان الشرك أعظم. واعلم أن قبول قول الشاهد إنما كان لما يظهر من دينه وصلاحه، وذاك من ستر الله -عزَّ وجلَّ- عليه وإنعامه، فإذا شهد بالزور قابل النعمة بالكفران وبارز الساتر، ثم ضمَّ إلى هذا اقتطاع المال الحرام، فصار قوله سببًا لنقض حكم الشريعة من اختصاص صاحب المال بماله؛ فلذلك عظَّم الأمر. وأما قوله: " حتى قلنا ليته سكت "؛ فلأنهم علموا أنّ تكراره لذلك يوجب تعظيم هذا الذنب، وقد عرفوا أن هذه الذلة تقع ببعض المسلمين، فأحبوا تيسير الأمر"(55).

قوله: "أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ" قال ابن حجر: " قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون من الخاص بعد العام، لكن ينبغي أن يحمل على التأكيد، فإنا لو حملنا القول على الإطلاق؛ لزم أن تكون الكذبة الواحدة مطلقًا كبيرة، وليس كذلك"(56).

وبهذا يلفت النظر إلى أنَّ النبي ﷺ أعطى الأمر عنايةً فائقة، حيث غيَّر من جِلسته، وكرر اللفظ، فاتضح لكل من شاهده أنَّ الأمر يحتاج إلى مزيد عناية، وهذا يكشف لنا أنَّ الأمر وراءه سرّ عظيم، فـ" اهتمامه ﷺ بشهادة الزور يحتمل أن يكون لأنها أسهل وقوعًا على الناس والتهاون بها أكثر،

ومفسدتها أيسر وقوعًا؛ لأن الشرك ينبو عنه المسلم، والعقوق ينبو عنه الطبع، وأما قول الزور فإن الحوامل عليه كثيرة؛ فحسن الاهتمام بها، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها"[57].

ويتبين من جراء ذلك أنّ شهادة الزور جُرمها عظيم، وعاقبتها وخيمةٌ، وأنَّ وراءها من الويلات ما لا يُحمد عقباه، وبسبب هذا "كانت من أكبر الكبائر؛ لأنها يتوصل بها إلى إتلاف النفوس والأموال، وتحليل ما حرم الله، وتحريم ما حلل الله، فلا شيء من الكبائر أعظم ضررًا، ولا أكثر فسادًا منها بعد الشرك، والله أعلم"[58].

وفي هذه الجملة يذكر الله تعالى صفات عباد الرحمن الذين تميزوا بها عن غيرهم من الخلق، حيث إنهم يبتعدون عن مواطن الشُّبه والرِّيب، ومن هذه المواطن التي يجب على المؤمن أن يتّصف بها، أنّهم لا يشهدون الزور، أي: "لا يحضرون الزور أي: القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل والغيبة والنميمة والسب والقذف والاستهزاء والغناء المحرم وشرب الخمر وفرش الحرير، والصور ونحو ذلك، وإذا كانوا لا يشهدون الزور فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه"[59]. وقد ذكر الزمخشري أنه "يحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه"[60].

وبهذا يتضح أنَّ الآية الكريمة قد جاءت جملة فعلية لتؤكّد على أفعال المؤمنين الصادقين الذين يقومون بأمر الله ورسوله، ويتبعون أمرهما على أكمل وجه، ولهذا بنيت هذه السلوكيات والأفعال جميعًا على الجملة الفعلية لارتباطها بالفعل والسلوك الإنساني الذي يحدث ويتجدّد بشكل يومي.

وقد وظّف الحديث الشريف التركيب القرآني: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ٧٢﴾، ولكن بتحويل الجملة الفعلية إلى جملة اسمية.

حيث يفرّق البلاغيون بين دلالة الجملة الفعلية والجملة الاسمية، يقول ابن الأثير: " وإنما يُعدل عن أحد الخطابين إلى الآخر لضرب التأكيد والمبالغة. فمن ذلك قولنا: قام زيد، وإن زيدًا قائم، فقولنا: "قام زيد" معناه الإخبار عن زيد بالقيام، وقولنا: "إن زيدًا قائم" معناه الإخبار عن زيد بالقيام أيضًا، إلا أن في الثاني زيادة ليست في الأول، وهي توكيده بإنّ المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها، وإذا زيد في خبرها اللام، فقيل: إن زيدًا لقائم، كان ذلك أكثر توكيدًا في الإخبار بقيامه، وهذا مثال ينبني عليه أمثلة كثيرة من غير هذا النوع"(61). إن هذا الكلام يدلّ على أن الجملة الاسمية أكثر تأكيدًا للمعنى من الجملة الفعلية.

فـ"**الجملة الاسمية** موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على تجدد أو استمرار، وإذا كان خبرها اسمًا فقد يقصد به الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن، وإذا كان خبرها مضارعًا فقد يفيد استمرارًا تجدديًا إذا لم يوجد داع إلى الدوام فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام فإن (زيد قائم) يفيد تجدد القيام لا دوامه. والجملة الظرفية تحتملهما. والجملة الفعلية موضوعة لإحداث الحدث في الماضي أو الحال فتدل على تجدد سابق أو حاضر. وقد يستعمل المضارع للاستمرار بلا ملاحظة التجدد في مقام خطابي يناسبه"(62).

إن هذا يدل على أن الجملة الفعلية أكثر ارتباطًا بالأحداث والأفعال المتجددة، ولذلك جاءت الآية الكريمة جملة فعلية ضمن مجموعة من الآيات الأخرى التي تتحدّث عن الأفعال والسلوكيات العملية التي يفترض أن يقوم بها عباد الرحمن، حيث (يمشون) على الأرض هونًا، ولا (يدعون) مع الله إلها آخر، ولا (يقتلون) النفس التي حرم الله... إلخ. إن هذه الآية (لا يشهدون الزور) تؤكّد في ذلك السياق على أفعال المؤمنين الصادقين الذين يقومون بأمر الله ورسوله، ويتبعون أمرهما، ومن ذلك أن هذه الشريحة المتميزة لا (يشهدون) مجالس الزور، ولا يبقون في بقاع اللغو، وإنما يمرون بها مرورًا سريعًا، أو ينكرون على أصحابها، ولهذا بنيت هذه السلوكيات والأفعال جميعًا بما فيها هذه الآية على الجملة الفعلية لارتباطها بالفعل والسلوك الإنساني الذي يحدث ويتجدّد بشكل يومي.

أما الحديث الشريف فقد وظّف فيه الرسول -عليه الصلاة والسلام- اللفظ القرآني ليؤكد بذلك شدة حرمة شهادة الزور، وأنها تتنافى مع الأفعال والسلوكيات التي يفترض أن يتصف بها المسلم الحق، ولتأكيد خطورة التهاون في شهادة الزور **استخدم الاسم (شهادة) وعبّر بالجملة الاسمية** حتى يكون التعبير عن خطورة شهادة الزور دائمًا غير مرتبط بزمان أو مكان محددين، ولذا ناسب ذلك **توظيف الجملة الاسمية** منه -عليه الصلاة والسلام-، بحيث تدل الاسمية على دوام العذاب وثبوته لكل من يقوم بهذا الفعل المشين في أي مكان وزمان.

ومما يُلحظ أيضًا **تحويل الحديث الشريف الجملة الخبرية في النظم القرآني إلى جملة إنشائية**، حيث يلحظ مثل هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ النساء [10]، وقد ورد ذلك في حديث عليٍّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: يَوْمَ الخَنْدَقِ «حَبَسُونَا عَنْ صَلاَةِ الوُسْطَى[63] حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ، أَوْ أَجْوَافَهُمْ - شَكَّ يَحْيَى - نَارًا»[64]، فالنبي ﷺ يدعو في يوم الخندق[65] على أولئك النَّفر الذين تسببوا في حبسه ﷺ وصحبه ﷺ عن الصّلاة الوسطى، وهو دعاء "على من يستحقه وهو من مات منهم مشركًا ولم يقع أحد الشقين وهو البيوت، أما القبور فوقع في حق من مات منهم مشركًا لا محالة"[66]. "وإضافة الصّلاة إلى الوسطى من إضافة الموصوف إلى الصفة"[67].

وخصَّ البيوت والقبور بالذكر؛ "لأن أحدهما مسكن الأحياء، والآخر مضجع الأموات، أي جعل الله النار ملازمة لهم بحيث لا تنفك عنهم، لا في حياتهم ولا في مماتهم. أقول: دعا عليهم بعذاب الدارين، من خراب بيوتهم في الدنيا بنهب أموالهم وسبي ذراريهم، وهدم دورهم، ومن عقابهم في الآخرة باشتعال قلوبهم نارًا، ووقوع الزجر والنكال في جهنم خالدًا. فالأسلوب إما من المشاكلة؛ لذكره النار في البيوت، أو من الاستعارة استعيرت النار للفتنة، وعلى الثاني هو من باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ٥٧﴾ الأحزاب [57]، حيث استعمل (ملأ) في الحقيقة والمجاز مجازًا"[68].

وأما الآية الكريمة فقد صُدّرت الجملة الاسمية في تركيبها بأداة توكيد تحذّر من أمر خطير يقع فيه بعض الناس، وينسون العاقبة الحاصلة من جراء هذا الفعل الخطير، وهو أكل أموال اليتامى بالباطل، وإن كانت الآية نزلت في الكفار الذين كانوا لا يُورّثون النساء والصغار، ويأكلون أموالهم(69)، إلا أنَّ الخطاب موجّه إلى أوصياء اليتامى عامّة.

"وسُمي آخذ المال على كل وجوهه آكلًا؛ لمّا كان المقصود هو الأكل، وبه أكثر الإتلاف للأشياء، وفي نصِّه على (البطون) من الفصاحة تبيين نقصهم، والتشنيع عليهم بضد مكارم الأخلاق، من التهافت بسبب البطن، وهو أنقص الأسباب وألأمها حتى يدخلوا تحت الوعيد بالنار"(70). وفي "ذكر البطون مبالغة وتهجين لحالهم"(71).

قال الراغب الأصفهاني: "هذه الآية مؤكِّدة لما قبلها من الأمر بالخشية والتقوى، ووعيد لمن تعدّى، وذكر الأكل لكونه أكثر ما يرُاد له المال"(72).

وفي قوله: ﴿ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾، "أطلق النار مجازًا مرسلًا بعلاقة الأول، أو السببيّة أي ما يُفضي بهم إلى عذاب جهنم، فالمعنى أنهم حين يأكلون أموال اليتامى قد أكلوا ما يفضي بهم إلى جهنم"(73). "ويجوز أن يكون اسم النار مستعارًا للألم بمعنى أسباب الألم؛ فيكون تهديدًا بعذاب دنيوي، أو مستعارًا للتلف؛ لأن شأن النار أن تلتهم ما تصيبه، والمعنى إنما يأخذون أموالًا هي سبب في مصائب تعتريهم في ذواتهم وأموالهم كالنار إذا تدنو من أحد فتؤلمه وتتلف متاعه، فيكون هذا تهديدًا بمصائب في الدنيا على نحو قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة 276]"(74).

وبهذا نخلص إلى أنَّ الآية الكريمة قد جاءت **جملة خبريةً** تؤكّد على عظيم جرم أكل أموال اليتامى الذين لا يملكون لأنفسهم حولًا ولا قوّة؛ بسبب ضعفهم وسفاهتهم، وأنَّ مصير من يعتدي على هذه الأموال التي أؤتمنوا عليها إنما سيأكل نارًا في بطنه يوم القيامة، سواء كانت النار على سبيل الحقيقة أو المجاز، فكلُّها عذابٌ من الله جزاء هذا السطو المشين على أموال الضعفاء، فالقرآن يُبيّن

هذا الأمر وخطورته، حيث جاء **بالجملة الخبرية الاسمية** التي تدلّ على ثبات العذاب لكل من اعتدى على حقوق غيره، والتحذير من ذلك.

ويأتي في الحديث الشريف توظيف هذا التركيب القرآني: (إنما يأكلون في بطونهم نارًا) الذي عُبّر عنه في الآية باستخدام الجملة الخبرية، ولكن مع مخالفته في الحديث الشريف لأصل التركيب القرآني، **وذلك باستعمال الجملة الإنشائية** (المحوّلة عن جملة فعلية) في قوله -عليه الصلاة والسلام- في الدعاء: (ملأ الله قبورهم وبيوتهم، أو أجوافهم نارًا)،

ومن هذا نعرف قول أهل البلاغة عن الخبر وفائدته، حيث يُعرّف الخبر بأنه:" الكلام الذي لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه"(75)، وعرّفه آخرون بأنه: "الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب لذاته"(76)، و"من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب إما نفس الحكم؛ كقولك: "زيد قائم" لمن لا يعلم أنه قائم، ويسمى هذا فائدة الخبر، وإما كون المخبر عالمًا بالحكم؛ كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك: "زيد عندك"، ويسمى هذا لازم فائدة الخبر".

ويعتبرون أضربًا للخبر، وكل واحدٍ من هذه الأضرب له دلالته البلاغية وسياقه الذي يجب أن يكون؛ فإذا كان غرض المخبر بخبره إفادة المخاطب أحد الأمرين، فينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة.

أ- فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه، استُغني عن مؤكدات الحكم؛ كقولك: "جاء زيد، وعمرو ذاهب" فيتمكن في ذهنه؛ لمصادفته إياه خاليًا.

ب- وإن كان متصورًا لطرفيه، مترددًا في إسناد أحدهما إلى الآخر، طالبًا له؛ حسن تقويته بمؤكد؛ كقولك: "لزيد عارف"، أو "إن زيدًا عارف".

ج- وإن كان حاكمًا بخلافه، وجب توكيده بحسب الإنكار؛ فتقول: "إني صادق" لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، و: "إني لصادق" لمن يبالغ في إنكاره"(77).

والإنشاء يُعرّف بأنه "الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه"، وعرّفه بعضهم بأنه: "كل كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته"[(78)].

والإنشاء ضربان: طلبي، وغير طلبي:

1- طلبي: وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت النطق، وهو خمسة أنواع: الأمر، النهي، التمني، الاستفهام، والنداء.
2- غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت النطق (وهو يرتبط غالبًا بالمشاعر والعواطف والانفعالات)، وأنواعه كثيرة، كصيغ المدح والذم (نِعْمَ، بئس)، والقسَم (واللهِ، لعمري)، والتعجب (ما أحسنه، أحسِنْ به)، والترجي (لعل، عسى)[(79)].

ومن هذا نلحظ أنَّ الحديث الشريف وظّف الجملة الخبرية في القرآن بتحويلها إلى جملة إنشائية عبر الدعاء؛ ولأنّه حدث أمرٌ يخالف العادة اليومية بسبب ما قام به المشركون يوم الأحزاب، حيث فوتوا الصَّلاة الوسطى على النبي ﷺ وصحبه ﵃، وهذا أمر مخالف للقواعد الشرعية، فالله جعل للصَّلاة أوقاتًا محددة: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣ ﴾ النساء [103]، فهذا مما أثار حميّة رسول الله ﷺ وغيرتَه على فوات وقت الصلاة، فأخبر صحابته بقوله: "حَبَسُونَا عَنْ صَلاَةِ الوُسْطَى، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ".

وبسبب هذا الفعل الذي ظهر من بعض المشركين، فقد اقتضى الأمر منه -عليه الصلاة والسلام- رد فعلٍ قويًا مقابلًا لما فعلوه، فناسب ذلك **توظيف الجملة الخبرية القرآنية عبر تحويلها إلى جملة إنشائية يعبّر** بها عليه الصلاة والسلام عن حنقه وغضبه عبر الدعاء على المشركين، حيث قال عليه الصلاة والسلام: "مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ، أَوْ أَجْوَافَهُمْ نَارًا"؛ لذلك كان التعبير بالجملة الإنشائية أنسب من الجملة الخبرية؛ لإمكانية استخدامها في التعبير عن معنى الدعاء على هذا الفعل المشين الذي استفزّ رسول الله -عليه الصلاة والسلام.

ولهذا يُلحظ أن الحديث يغيّر بعض عبارات الأصل القرآني للتعبير عن شدة غضبه عليه الصلاة والسلام، حيث وضع لفظ (ملأ) بدلًا من (يأكلون)، ولفظ (أجوافهم) بدلًا من (بطونهم)، وذلك تعظيمًا منه -عليه الصلاة والسلام- لفعل أولئك المذكورين، حيث إن (الأكل) قد يكون أحيانًا للقليل من الطعام دون حدوث الامتلاء، أما ما فعله المشركون يوم الخندق فقد كان أثره شديدًا على النبي ﷺ والصحابة معه؛ لذلك دعا النبي ﷺ بـ(امتلاء) أجوافهم بالنار. وللسبب نفسه استخدم (الجوف) بدلًا من (البطن)، حيث إن البطن هو ما دون السرة، أما (الجوف) فإنه أعم وأشمل لشموله كل ما في داخل جوف الإنسان من القلب أو الرئتين، أي كل ما تحت الحلق، وهذا يؤكد عظم غضبه عليه الصلاة والسلام مما فعله المشركون، وهو ما ناسبه تحويل الجملة من الخبر إلى الإنشاء، **نظرًا لقدرة الجملة الإنشائية** على التعبير عن المشاعر والعواطف أكثر من الجملة الخبرية التي تركّز غالبًا على نقل المعلومة. إنه لمن الواضح أن الحديث الشريف يعيد صياغة التركيب القرآني وفق مقتضيات الأحوال التي يتم فيها توظيف التركيب القرآني، ومراعاة مناسبته لمقامات التفاعل النبوي مع الواقع الذي كان يعيشه ويعايشه الصحابة -رضوان الله عليهم-.

كذلك نجد **الحديث الشريف يخالف أصل التركيب القرآني عبر توظيف الإيجاز والاختصار في صياغة التركيب القرآني**، ويظهر مثل هذا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ الحجرات [12]، إذ يغيّر البيان النبوي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ إلى قوله -عليه الصلاة والسلام-: "إياكم والظنّ".

فقد خالف الحديث الشريف أصل التركيب القرآني، حيث جاء التحذير من الظنّ بإيجاز شديد في قوله -عليه الصلاة والسلام-: (إياكم والظنّ) وذلك في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»(80). وهذا النوع من الإيجاز هو إيجاز قصر، فقد دلّ اللفظ على معناه من غير نقصان مخلّ.

يقول ابن القيم: "(إياكم والظن) أي احذروا اتباع الظن أو احذروا سوء الظن، والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل وليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالبًا، بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، (أكذب الحديث) أي حديث النفس؛ لأنه يكون بإلقاء الشيطان في نفس الإنسان"(81).

لقد جاء الحديث الشريف بأقصر لفظ وأوجز عبارة بقوله ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ"؛ وذلك -والله تعالى أعلم- لأن حديثه -عليه الصلاة والسلام- كان حديثًا شفويًا مسموعًا وليس وحيًا مكتوبًا كالقرآن الكريم، ويربط د. عبدالعزيز عتيق تفضيل العرب القدامى للإيجاز بسبب الذاكرة الشفوية عند العرب، حيث تحتاج الذاكرة الشفوية إلى قِصَر العبارات ليساعدها ذلك في حفظ المعلومة وتخزينها. حيث يعلل شيوع الإيجاز كثيرًا عند الجاهليين بأن "السرّ في اهتمامهم به راجعٌ إلى ظروف مجتمعهم، فقد كان مجتمعًا تشيع فيه الأمية وتندر فيه الكتابة، ولهذا كان عليهم أن يعتمدوا على ذاكرتهم من ناحية الإبقاء على أدبهم الذي يصوّر حياتهم، وعلى تناقله عن طريق الرواية جيلًا بعد جيل. ولكن الذاكرة مهما كانت قوية لا تستطيع أن تستوعب كل ما يقال، ولاسيما إذا كان طويلًا، وإذا استوعبت ما قدرت عليه من الكلام المسهب فإنها معرَّضةٌ لنسيان بعضه بسبب طوله. من هنا ولهذه الظروف، كما يبدو كانت الحاجة إلى الإيجاز في القول أولَ الأمر كوسيلة لاستيعاب أكبر قدرٍ ممكن من الأدب تستطيع الذاكرة أن تعيه من غير نسيان"(82).

إن هذا الكلام يدلّ على أن الإيجاز يأتي في الأصل للتمكن من إبقاء المعلومة في الذهن وحفظها من الضياع خصوصًا في الكلام الشفوي، وربما كان هذا هو السبب الذي ألجأ إلى

الإيجاز في الحديث الشريف الذي يعتمد في خطاب الصحابة على المشافهة، وذلك حتى تصل المعلومة إلى الذهن بسهولة وتبقى في الذهن أطول فترة ممكنة.

أما الآية الكريمة فهي تبتدئ بالنداء الموجّه للمؤمنين عبر مجموعة من الآداب والسلوكيات التربوية، والتي منها اجتناب الظنِ السيئ؛ لما يحدثه من مشاكل وخصومات، وتشاحن في النفوس. وقوله تعالى: (اجتنبوا) بمعنى: ابتعدوا: "يقال: جنَّبه الشرّ إذا أبعده عنه، وحقيقته: جعله منه في جانب، فيُعدّى إلى مفعولين... والمأمور باجتنابه هو بعض الظن، وذلك البعض موصوف بالكثرة: ألا ترى إلى قوله: ﴿ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴾... وإنّ في الظنون ما يجب أن يُجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين؛ لئلا يجترئ أحد على ظنّ إلا بعد نظر وتأمّل، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بيّنة، مع استشعار للتقوى والحذر، ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظنّ منوطًا بما يكثر منه دون ما يقلّ، ووجب أن يكون كل ظنّ متصف بالكثرة مُجتنَبًا، وما اتصف منه بالقلة مرخصًا في تظننه. والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها: أنّ كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر: كان حرامًا واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظنّ الفساد والخيانة به محرّم، بخلاف مَن اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث"(83).

فالآية تأمرنا بالاجتناب لأمرٍ فيه محظور اجتماعي، يسبب القطيعة والجفاء بين الناس، وهو داء خطير يوغر الصدور ويضطر من كان سيء الظنِّ أن يُلحقه بمحظور آخر، ألا وهو التجسس وتتبع العورات؛ لذا كان النهي عنه بعد سوء الظنّ، حيث "نهى الله عزَّ وجلَّ عن التجسس على أحدٍ من المسلمين، فينبغي أن يُحسن الظن بالمسلمين، وأن تستر زلّة من زلَّ منهم، ويوعظ ويخوّف... قال ابن عباس: إنما ضرب الله هذا المثل بالغيبة؛ لأنَّ أكل لحم الميت حرام مُستقذَر، وكذلك الغيبة حرام في الدِّين، وقبيح في النفوس"(84).

ومما يلفت النظر في السياق القرآني أن الله حذر بطريق التشبيه عن أمر قد يفشو في المجتمع، ويجعل الناس يشكك بعضهم في بعض، ألا وهو الغيبة المحرمة، فقد كانت الاستفهامات في الآية مبالغ فيها كما يقول الزمخشري، تحذيرًا من هذه الأمور القبيحة، ففي الآية "مبالغات شتى: منها: الاستفهام الذي معناه التقرير. ومنها: جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولًا بالمحبة. ومنها: إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأنَّ أحدًا من الأحدين لا يحب ذلك"[85].

وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله- قياسًا جيدًا في الآية، حيث قال: "وهذا من أحسن القياس التمثيلي. فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه"[86].

ومن هذا نخلص إلى أنَّ الآية أطنبتْ في الحديث عن هذه السلوكيات المشينة؛ لأنَّ السورة تتحدث عن كثير من الآداب والأخلاق الإسلامية، والمقام يقتضي التفصيل في شأن التربية؛ لأنَّها تأصيل لما فيه صلاح حياة الفرد المسلم، فمتى ما تمسك بالأخلاق والآداب الحميدة، عاش حميدًا، ومات حميدًا، وبهذا بعث الله رسوله محمدًا ﷺ، حيث يقول: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[87]، فالمقام هنا يقتضي الإطناب، ولا يحسن الإيجاز فيها، وإن كان البلاغيون يقولون: إنَّ البلاغة هي الإيجاز[88]، إلا أن الإطناب في بعض الحالات يكون هو البلاغة، فـ"الإيجاز والإطناب يُحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه؛ ولكلّ واحد منهما موضع؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه؛ فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ"[89].

وقد جاء الإطناب ظاهرًا في الآيات القرآنية، حيث إنَّ الآيات السابقة فصَّلت آدابًا كثيرة؛ فكان من المناسب أن يلجأ إلى الإطناب في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾؛ مراعاة لهذا السياق.

وقد ظهر أثر الإيجاز في الحديث، وأثر الإطناب في الآية على بعض الصياغات في الموضعين، فبسبب ميل العبارة في الحديث الشريف إلى الإيجاز فإنه يُلحظ أن النهي عن الظن جاء نهيًا عامًا

بقوله: (إياكم والظنّ، فإن الظنّ أكذب الحديث) فالنبي ﷺ أوجز العبارة بتحذيره من هذا السلوك السيئ دون تحديد نوعٍ معين من الظن، هذا على الرغم من أن هناك بعضًا من الظنّ محمود؛ ولكن مع إطلاق اللفظ في الحديث والتعريف باللام فإنه يُفهم ضمنًا أن النهي متوجّه نحو الظنّ السيئ.

أما الآية الكريمة فقد جاءت مفصّلة عبر أسلوب الإطناب، حيث قال تعالى: ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ ليدل بعبارة (كثيرًا) إلى أن هناك ظنًا محمودًا فلا يُجتنب، والظنّ الحسن دلّ عليه إطناب الآية ولم يظهر في إيجاز الحديث. يقول الزمخشري مبينًا سبب مجيئ (كثيرًا) نكرة: " قلتُ: مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية، وإنّ في الظنون ما يجب أن يُجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين؛ لئلا يجترئ أحد على ظنّ إلا بعد نظر وتأمّل"[90]. وهو ما يؤكده أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾، حيث إن الآية الكريمة استعملت (من) التبعيضية في قوله: ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾، وأيضًا جاءت إضافة (بعض) إلى كلمة (الظن) في قوله: ﴿بَعْضَ ٱلظَّنِّ﴾؛ لتدل على أنّه ليس (كل الظن) سيئاً وإنما بعضه فقط.

ويلجأ البيان النبوي أحيانًا إلى **مخالفة التركيب القرآني عبر تحويل الزمن من الحاضر إلى الماضي**، ويظهر هذا جليًّا في تحويل الحديث الشريف قولَه تعالى: ﴿تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ إلى (وسوست به صدورها). حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ سورة ق [16]، وهذا التعبير في الآية بالزمن الحاضر (توسوس به نفسه) جاء في البيان النبوي بلفظ الماضي "مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صدورها"، وذلك في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ"[91]. فالنبي ﷺ يخاطب أصحابه مؤكّدًا لهم أنَّ ما مضى عليكم مما جاش في صدوركم وحملته نفوسكم من الأفكار غير المرضيّة؛ فإنَّ الله تجاوز عنها، واحذروا ما يكون في مستقبلكم، واحذروا أن تُقدِموا على فعلٍ خاطئٍ يخطر ببالكم، أو تحدثون به أنفسكم، فإنَّ الخاطر ليس كالفعل؛ كي لا يقع الذنب،

ويُكتب الإثم. وهذه هي الوسوسة، حيث ذكر الطيبي في شرحه على المشكاة: " وقيل: ما يظهر في القلب من الخواطر، إن كانت تدعوه إلى الرذائل والمعاصي يسمى وسوسه، وإن كانت تدعو إلى الخصائل المرضية والطاعات تسمى إلهامًا"(92).

وبهذا يكون البيان النبوي يخالف أصل التركيب القرآني، حيث عبّر الحديث الشريف بالفعل الماضي، فالرسول ﷺ يكاشف أصحابه، ويبشرهم بهذه البشارة النبوية المؤكّدة، التي خصّه الله بها من شدة حبّه وحرصه على أمته، حيث يقول: (تجاوز لي).

وتوظيف التركيب القرآني في الحديث الشريف يأتي لاستحضار ذلك الفضاء الذي أشاعته الآية التي تؤكّد علم الله الشامل بكل أحوال الإنسان، وكأن الحديث يقول: إن كل تلك الدقائق والتفاصيل الصغيرة التي وسوست به نفس الإنسان وعلمها الله فإن الله يغفرها ويتجاوز عنها، ولذلك وظّف الحديث الشريف التركيب القرآني؛ لأنه أراد أن يوضّح سعة عفو الله ومغفرته، وأن كل سوء أو إثم وقع فيه الإنسان فإن الله يمكن أن يتجاوز عنه ويغفره.

إن هذا يكشف عن أن استخدام الزمن الماضي في الحديث قد جاء؛ لأن العفو والتجاوز يكونان عادة عمّا مضى وليس عمّا أتى. فيكون قصد الحديث هو حثّ الناس على الرجوع إلى الله والعودة إليه وسؤاله المغفرة، وهو ما يناسبه التعبير عن خطايا الزمن الماضي، أما لو استخدم الزمن الحاضر وجعل التجاوز والمغفرة حتى للزمن الحاضر فربّما يدفع ذلك بعض الناس إلى التفريط والتهاون واستمراء التجاوز، وهو ما ليس مرادًا في الحديث الشريف.

أما الآية فهي تبيّن العظمة الإلهية، واللطف في الوصول إلى خفايا النفس البشرية، حيث إنَّ الله تبارك وتعالى يعلم كلَّ شيء عن بني آدم مهما كان غائرًا في نفسه وذاته، فقد جاء التعبير بالفعل المضارع ﴿ تُوَسۡوِسُ ﴾الدال على الحال التي عليها بنو آدم، وأنه في نظر الله، الذي ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩ ﴾ غافر [19]، فهو الذي خلقه ويعلم أسراره وخفاياه؛ لأنّ

الوسوسة كما يقول الكفوي: "القَوْل الْخَفي لقصد الإضلال، من وسوس إِلَيْهِ ووسوس لَهُ، أَي فعل الوسوسة لأَجله"(93).

فالوسوسة شيء يجيش ويخطر بالبال ويهجس في الضمير من حديث النفس لا يعلم به أيّ أحد، فالله تبارك وتعالى لا يعزب عنه ذلك الخفيّ، حيث عبّر عنه بفعلين مضارعين دالين على الاستمرار والتجدد من غير انقضاءٍ ولا حدود ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ ﴾.

لذلك جاء التعبير بالفعل الماضي ﴿ خَلَقْنَا ﴾؛ لأنَّ "الإخبار عن فعل الخلق بصيغة المضي ظاهر، وأما الإخبار عن علم ما توسوس به النفس بصيغة المضارع فللدلالة على أن تعلق علمه تعالى بالوسوسة متجدد غير منقض ولا محدود لإثبات عموم علم الله تعالى، والكناية عن التحذير من إضمار ما لا يرضي الله"(94).

إن التعبير بالزمن الحاضر في الآية قد جاء في سياق الإشارة إلى علم الله الشامل بكل أحوال الإنسان الذي يعلم الله كل دقائق حياته الظاهرة والباطنة، ولهذا نجد الآية أكَّدت هذه الإحاطة والعلم الذي لا يخفى بالجملة الاسمية؛ فقال:﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾، فـ"القرب هنا كناية عن إحاطة العلم بالحال"(95).

فلمّا كان الحديث في الآية القرآنية عن علم الله الشامل استخدم التركيب القرآني الصياغة التي تدلّ على دوام هذا العلم في الماضي والحاضر، إذ التعبير القرآني لا يريد منا أن نستحضر الحدث الماضي فقط، إذ هو يدلُّ على الحال الماضية والحاضرة معًا، وربما كان للفعل الماضي الذي قبله (خلقنا) دلالة على ذلك. فالله لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ولكنه جاء بالفعل المضارع ليؤكّد أن الله يعلم أيضًا خواطر النفس الآنية، فهي ليست بخافية على ذي الملكوت.

ويلحظ أن التعبير القرآني استعمل لفظة (النفس)؛ لأنَّ الكلام هنا عن علم الله الشامل الذي يشمل النفس الإنسانية كلها ظاهرًا وباطنًا فناسب ذلك اختيار اللفظ الذي يدل على علم الله

الآداب للدراسات اللغوية والأدبية مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية (EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

الشامل بالكل الإنساني داخليًا وخارجيًا. وأما التعبير النبوي فقد استعمل لفظة (صدر)، وذلك لأن الوسوسة تأتي غالبًا من داخل الصدور، فلما كان السياق في الحديث الشريف سياق تجاوز وإكرام للناس بالعفو فإن التعبير النبوي لم ينسب الوسوسة أو التجاوز إلى النفس كلها، وإنما اقتصر على ذكر مكانه وموضعه فقط، فذكر الصدر حيث يوجد القلب (مركز التوجيه الإنساني)، وذلك إجلالًا واحترامًا للإنسان راغب فضل الله وكرمه بحيث ينسب التجاوز والوسوسة إلى مكان محدود من جسمه وليس إلى الإنسان كاملًا. وهذا يدلّ على بلاغة النبي -عليه الصلاة والسلام- حيث وظّف التركيب القرآني للاستفادة من إيحاءاته بكل أفكار الإنسان ووساوسه الداخلية، ولكنه أيضًا -عليه الصلاة والسلام- أعاد صياغة التركيب القرآني ليضمّنه دلالات بلاغية جديدة تتناسب مع السياق الجديد الذي يرد فيه ذلك التركيب.

النتائج:

يمكن القول: إن أهم النتائج التي خلص إليها البحث هي:

- توظيف البيان النبوي للتركيب القرآني قد جاء إما باستخدام التركيب دون تغيير، أو مع إحداث تغيير يسير.
- لجأ الحديث الشريف إلى مراعاة الخطاب الشفوي المباشر الذي يتّجه إلى الصحابة ﷺ، وظهر الحرصُ على صياغة التركيب القرآني وفقًا لذلك.
- لم يستخدم البيان النبوي التركيب القرآني لغرض التزيين والتحسين، وإنما جاء توظيف التركيب القرآني في الحديث لوظائف دلالية، أو شرعية يتطلّبها الكلام.
- جاء توظيف التركيب القرآني لوظيفة حجاجية أحيانًا؛ وذلك من أجل التأكيد على الموقف الرباني والقرآني من الأمر المطروح، وبيان أن القضية هي موقف ديني بالدرجة الأولى وارد في القرآن والسنة.

الهوامش والإحالات:

(1) الصباغ، الحديث النبوي: 68.

(2) نفسه: 61.

(3) البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم (4553).

(4) ابن حجر، فتح الباري: 86/9.

(5) نفسه: 8/ 219.

(6) نفسه: 8/ 221.

(7) الطيبي، شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن: 7/ 416.

(8) ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين: 4/ 90.

(9)ابن حجر، فتح الباري: 9/ 86.

(10) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 181/4. ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم: 776/2. ابن عاشور، التحرير والتنوير: 144/20.

(11) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 144، 145.

(12) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 172/4.

(13) البخاري، صحيح البخاري الحديث رقم: (1127).

(14) يقول ابن حجر: "وفيه منقبة لعلي ﷺ؛ حيث لم يكتم ما فيه عليه أدنى غضاضة، فقدم مصلحة نشر العلم وتبليغه على كتمه" ابن حجر، فتح الباري: 316/3.

(15) نقل ابن حجر في الفتح كلام بعض أهل العلم في سرِّ خروج رسول الله ﷺ وترديده الآية؛ فقال: " ونقل ابن بطال عن المهلب قال فيه: إنه ليس للإمام أن يشدد في النوافل حيث قنع ﷺ بقول علي ﷺ: "أنفسنا بيد الله"؛ لأنه كلام صحيح في العذر عن التنفل، ولو كان فرضًا ما عذره.

قال: "وأما ضربه فخذه وقراءته الآية؛ فدال على أنه ظن أنه أحرجَهم؛ فندم على إنباههم" كذا قال، وأقره ابن بطال، وليس بواضح، وما تقدم أولى. وقال النووي: المختار أنه ضرب فخذه تعجبًا من سرعة جوابه وعدم موافقته له على الاعتذار بما اعتذر به- والله أعلم". ابن حجر، فتح الباري: 3/ 11.

(16) نفسه: 7/ 175.

(17) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 6/ 65.

(18) البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم (614).

(19) ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن: 5/ 115.

([20]) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 526/17.

([21]) ينظر: الطبري، تفسير الطبري: 526/17. القرطبي، تفسير القرطبي: 309/10. أبو السعود، تفسير أبي السعود: 190/5.

([22]) ابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري: 5/ 274.

([23]) البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم (3976).

([24]) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/ 136.

([25]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 289.

([26]) الزمخشري، الكشاف: 2 / 1170.

([27]) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 7/ 404.

([28]) الاحتباك: "هُوَ أَن يُحذف من الأول مَا أثبت نَظِيره فِي الثَّانِي، ويُحذف من الثَّانِي مَا أثبت نَظِيره فِي الأول فَإِن التَّقْدِير فِيهِ"، البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: 3/ 257. وذكر الميداني، البلاغة العربية: 2/ 54. بأنّه: هو أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابلة في الأوائل. ومأخذ هذه التسمية من الْحَبْك، وهو الشدّ والإحكام، وتحسين أثر الصَّنعة في الثوب، فَحَبْكُ الثوب هو سَدُّ ما بين خيوطه من الْفُرَج وشَدُّهُ وإحكامه إحكامًا يمنع عنه الْخَلَل، مع الْحُسْنِ والرونق".

([29]) نفسه: 7/ 405.

([30]) العمار، الاستفهام في الصحيحين: 295.

([31]) البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم (3374).

([32]) العيني، عمدة القاري: 15/ 277.

([33]) القرطبي، المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: 6/ 226.

([34]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 802.

([35]) هما قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ... ١١ ﴾ الحجرات [11]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ ... ١٢ ﴾ [الحجرات، 12].

([36]) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 258.

([37]) نفسه: 261/26.

([38]) نفسه: 263/26.

([39]) العمار، الاستفهام في الصحيحين: 61.

([40]) نفسه: 121.

(41) الطيبي، شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن: 9/ 158.

(42) مسلم، صحيح مسلم: حديث رقم (2564).

(43) البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم (4474).

(44) ابن بطال، شرح صحيح البخاري: 10/ 245.

(45)ابن حجر، فتح الباري: 8/9.

(46) وهناك قول يرى أن المقصود بالسبع المثاني السبع الطوال: وهي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة. ولكنَّ الراجح هو أن المراد بها سورة الفاتحة -والله أعلم- قال ابن عاشور: "والأصح أن السبع المثاني هي سورة فاتحة الكتاب؛ لأنها يثنى بها، أي تعاد في كل ركعة من الصلاة فاشتقاقها من اسم الاثنين المراد به مطلق التكرير، فيكون استعماله هذا مجازًا مرسلًا بعلاقة الإطلاق، أو كناية؛ لأن التكرير لازم كما استعملت صيغة التثنية فيه في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ﴾ [الملك، 4]، أي كرات وفي قولهم: لبيك وسعديك ودواليك". ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 80.

(47) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 79.

(48) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 728.

(49) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 81.

(50) الزمخشري، الكشاف: 1/ 597.

(51) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 55/10.

(52) الجرجاني، دلائل الإعجاز: 107، 108.

(53) سيبويه، الكتاب: 34/1.

(54) البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم (5976).

(55) ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين: 2/ 13.

(56) ابن حجر، فتح الباري: 593/5.

(57) نفسه: 17/12.

(58) القرطبي، المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: 1/ 282.

(59) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 587.

(60) الزمخشري، الكشاف: 2/ 823.

(61) ابن الأثير، المثل السائر: 54/2، 55.

(62) الكفوي، الكليات: 284.

(63) قال: ابن حجر: فتح الباري: 54/9: "وقد اختلف السلف في المراد بالصلاة الوسطى، وجمع الدمياطي في ذلك جزءًا مشهورًا سماه (كشف الغطا عن الصَّلاة الوسطى)؛ فبلغ تسعة عشر قولًا".

(64) البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم (4533).

(65) "هو يوم الأحزاب سنة أربع من الهجرة، وقيل: خمس"، ينظر: الطيبي، شرح المشكاة: 2/ 223.

(66) ابن حجر، فتح الباري: 57/9.

(67) العيني، عمدة القاري: 18/ 124.

(68) الطيبي، شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن: 2/ 223.

(69) ينظر: الطبري، تفسير الطبري: 599/7. ابن عطية، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 38/2.

(70) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 38.

(71) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: 470/1.

(72) الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني: 1117/3، 1118.

(73) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/ 254.

(74) نفسه: 254/4.

(75) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 254. خطيب دمشق ، الإيضاح:25.

(76) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 254. خطيب دمشق ،عبدالرحمن، الإيضاح: 25.

(77) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 254. خطيب دمشق، الإيضاح: 29. الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: 1/ 41-44.

(78) الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: 2/ 249. التركي، تيسير علم المعاني: 110.

(79) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 415 وما بعدها. التركي، تيسير علم المعاني: 110.

(80) البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم (6064).

(81) العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود: 13/ 177.

(82) عتيق، في تاريخ البلاغة العربية: 108.

(83) الزمخشري، الكشاف: 2/ 1172، 1173.

(84) المهدوي، التحصيل لفوائد كتاب التفصيل: 190/6.

(85) الزمخشري، الكشاف: 2/ 1173.

(86) ابن قيم الجوزية، التفسير القيم: 441، 442.

(87) رواه: الهيثمي، مجمع الزوائد: 18/9.ابن رجب، اللطائف: 305. وهو حديث صحيح، وجاء بلفظ: (صالح الأخلاق) رواه: ابن عبد البر، التمهيد: 333/24.

(88) ينظر: العسكري، كتاب الصناعتين: 190. الميداني، البلاغة العربية: 34/1.

(89) العسكري، كتاب الصناعتين: 190.

(90) الزمخشري، الكشاف: 2/ 1172، 1173.

(91) البخاري، صحيح البخاري: حديث رقم (2528).

(92) الطيبي، شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن: 1/ 214.

(93) الكفوي، الكليات: 793.

(94) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 299.

(95) نفسه: 301/26.

قائمة المصادروالمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1) ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة، 1358هـ - 1939م.
2) أمير العظيم آبادي، محمد أشرف، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ.
3) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
4) ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ - 2003م.
5) البغدادي، عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ - 1997م.
6) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط4، 1417هـ - 1997م.
7) البقاعي، إبراهيم بن عمر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

8) البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

9) التركي، إبراهيم بن منصور، تيسير علم المعاني، النشر العلمي والترجمة، جامعة القصيم، السعودية، ط1، 1434هـ - 2013م.

10) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني بمصر، شركة القدس للنشر والتوزيع،القاهرة، ط3، 1413هـ - 1992م.

11) ابن جزي، محمد بن أحمد التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: علي بن أحمد الصالحي، تعليق: الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط1، 1439هـ - 2018م.

12) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، د.ت.

13) خطيب دمشق، محمد بن عبدالرحمن القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، 1414هـ-1993م.

14) ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: مجموعة من العلماء، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط1، 1417هـ - 1996م.

15) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن، الرياض، ط1، 1424هـ - 2003م.

16) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، صححه: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1900م.

17) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.

18) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

19) السكاكي، يوسف بن محمد، مفتاح العلوم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1435هـ- 2014م.

20) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ-1988م.

21) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف: بكر أبوزيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، مؤسسة الراجحي الخيرية، الرياض، ط1، 1426هـ.

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
12 العـدد الثاني عشر
ديسمـــبر 2021

22) الصباغ، محمد لطفي، الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط8، 1424هـ- 2003م.
23) الصعيدي، عبدالمتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، مصر، ط17، 1426هـ-2005م.
24) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ- 2000م.
25) الطيبي، الحسن بن محمد، شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق:محمد علي سمك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1434هـ- 2013م.
26) ابن عاشور، محمد الطاهر ، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1997م.
27) عتيق، عبدالعزيز، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
28) ابن عجيبة، أحمد بن محمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ.
29) ابن حجر، أحمد بن علي ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبدالعزيز بن باز، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط1، 1414هـ- 1993م.
30) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ.
31) ابن عطية، عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط1، 1436هـ- 2015م.
32) العمار، عبدالعزيز بن صالح، الاستفهام في الصحيحين - خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية، أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1430هـ- 3009م.
33) العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
34) القرطبي، أحمد بن عمر، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1417هـ - 1996م.
35) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ- 1964م.
36) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، التفسير القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1408هـ- 1988م.

37) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1420هـ - 1999م.

38) الكفوي، أيوب بن موسى، الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1432هـ - 2011م.

39) المهدوي، أحمد بن عمار، التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، تحقيق: دار الكمال المتحدة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1435هـ - 2014م.

40) الميداني، عبدالرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م.

41) النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

42) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.